٢٢- باب في النصيحة

قَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات : ١٠] ، وَقالَ تَعَالَى : إخباراً عن نوحٍ ﷺ : ﴿ وَأَنْصَحُ لَكُمْ ﴾ [الأعراف : ٦٢] ، وعن هود ﷺ : ﴿ وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾ [الأعراف : ٦٨] .

- **قَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ .**

أي : في الحرمة والدين لا في النسب ، أي فلا يصلح أن يكون بينهما تنازع وخصومة وتقاتل ، بل من مقتضيات الأخوة التحاب والتواصل والتقارب والتناصح .

قيل : أخوة الدين أثبت من أخوة النسب، فإن أخوة النسب تنقطع بمخالفة الدين ، وأخوة الدين لا تنقطع بمخالفة النسب.

- **قال المفسرون** : (إنما) للحصر ، فكأنه يقول : لا أخوة إلا بين المؤمنين ، ولا خوة بين مؤمن وكافر .
- **قال السعدي** : هذا عقد عقده الله بين المؤمنين ، أنه إذا وجد من أي شخص كان في مشرق الأرض ومغربها ، الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، فإنه أخ للمؤمنين ، أخوة توجب أن يحب له المؤمنون ما يحبون لأنفسهم ، ويكرهون له ما يكرهون لأنفسهم ، ولهذا قال النبي ﷺ آمراً بالأخوة الإيمانية (ولا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً ، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يكذبه) .
- الأخوة بين المؤمنين نعمة كبيرة ومنّة عظيمة .

قال تعالى (وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً) .

وقال تعالى : (هُوَ الَّذِيَ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ . وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ) .

- **وأما الكافر فليس أخاً للمؤمن .**

قال تعالى : (لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ...) .

وقال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) .

وقال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءكُم مِّنَ الْحَقِّ) .

- **وَقالَ تَعَالَى : إخباراً عن نوحٍ ﷺ : ﴿ وَأَنْصَحُ لَكُمْ ﴾ .**

وعن هود ﷺ : ﴿ وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾ .

في هذا دليل على أن النصيحة من صفات أنبياء الله ورسله .

فقد ذكر الله – تبارك وتعالى – في القرآن الكريم على لسان نوحٍ – عليه السَّلام – قولَه لقومه: (أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) .

وقال سبحانه على لسان هود – عليه السَّلام –(أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ) .

وقال سبحانه على لسان صالِح – عليه السَّلام –(يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ) .

وقال سبحانه على لسان شعيبٍ – عليه السَّلام –(لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ) .

وهكذا هي طريقة كلّ مَن سار على درهم من العلماء والأولياء، وسائر الصُّلَحاء.

- **قال ابن عاشور** : وفي الإتيان بالمضارع دلالة على تجديد النّصح لهم ، وإنّه غير تاركه من أجل كراهيتهم أو بذاءتهم.

١٨١- وأما الأحاديث: فالأول: عن أَبي رُقَيَّةَ تَمِيم بن أوس الداريّ ﷺ : أنَّ النَّبيّ ﷺ ، قَالَ: ((الدِّينُ النَّصِيحةُ)) قلنا: لِمَنْ ؟ قَالَ : ((لِلهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأئِمَّةِ المُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ)) رواه مسلم .

١٨٢-الثاني : عن جرير بن عبد الله ﷺ ، قَالَ : بَايَعْتُ رسولَ الله ﷺ عَلَى إقَامِ الصَّلاةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، والنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ . مُتَّفَقٌ عَلَيهِ .

(**النصيحة**) كلمة يعبر بها عن إرادة الخير للمنصوح له .

(**أئمة المسلمين**) حكامهم .

(**عامتهم**) سائر المسلمين غير الحكام .

(**عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ**) البجلي ، صحابي جليل .

(**بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ**) أي : عاهدت وعاقدت .

(**عَلَى إِقَامِ الصَّلاَةِ**) أي : الإتيان بها على وجهها المطلوب .

(**وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ**) أي : إعطاؤها لمستحقيها .

١-التعريف للنصيحة شرعاً :

قيل : هي كلمة يعبر بها عن إرادة الخير للمنصوح له .

وقيل : قيام العبد بما لغيره من الحقوق ، وهذا أصوب .

فالنصيحة لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِم هي : القيام بحقوقهم .

وهي باعتبار منفعتها نوعان :

أحدهما : ما منفعتها مقصودة في الأصل للناصح ، وهي النصيحة لله ولرسوله ﷺ ولكتاب الله عز وجل .

والآخر : ما منفعتها مقصودة في الأصل للناصح والمنصوح معاً ، وهي النصيحة لأئمة المسلمين وعامتهم .

٢-كيفية النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم .

فالنصيحة لله : تكون بالإيمان به ، ونفي الشريك عنه ، وترك الإلحاد في صفاته ، ووصفه بصفات الكمال والجلال كلها ، وتنزيهه سبحانه وتعالى عن جميع النقائص ، والقيام بطاعته ، واجتناب معاصيه .

والنصيحة لكتابه : بقراءته وتدبره وحفظه والعمل به .

والنصيحة لرسوله : تكون بتصديق رسالته ، والإيمان بجميع ما جاء به ، وطاعته في أمره ونهيه ، ونصرته حياً وميتاً ، ومعاداة من عاداه ، وموالاة من والاه ، وإعظام حقه وتوقيره ، وإحياء طريقته وسنته ، وبث دعوته ونشر شريعته .

والنصيحة لأئمة المسلمين : تكون بمعاونتهم على الحق وطاعتهم فيه ، وأمرهم به وتذكيرهم برفق ولطف ، وإعلامهم بما غفلوا عنه ، وترك الخروج عليهم ، وتألف قلوب الناس لطاعتهم ، وأن يدعى لهم بالصلاح .

والنصيحة لعامة المسلمين : تكون بإرشادهم لمصالحهم في آخرتهم ودنياهم، وكف الأذى عنهم، وتعليم ما يجهلونه من دينهم، ويعينهم عليه بالقول والفعل ، وستر عوراتهم ، وسد خلاتهم ، ودفع المضار عنهم ، وجلب المنافع لهم ، وأمرهم بالمعروف ونهيهم

عن المنكر برفق وإخلاص ، والشفقة عليهم ، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه من الخير ، ويكره لهم ما يكره لنفسه من المكروه .

٣-الحديث دليل على فضل النصيحة وعظم منزلتها ، وللنصيحة فضائل :

أولاً : أنها مهمة الرسل .

قال تعالى إخباراً عن نوح (أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ) .

ثانياً : أن منزلتها عظيمة .

كما في حديث الباب .

ثالثاً : أنها من علامات كمال الإيمان .

كما قال ﷺ (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) .

رابعاً : أنها من حقوق المسلم على أخيه المسلم .

قال ﷺ (للمؤمن على المؤمن ست خصال : ... وينصح له إذا غاب أو شهد) .

٤-ينبغي أن تسود النصيحة بين المسلمين ، فإنها من أعظم مكملات الإيمان .

سئل ابن المبارك : أي الأعمال أفضل ؟ قال : النصح لله .

وقال الفضيل : المؤمن يستر وينصح والفاجر يهتك ويعير .

وقال أيضاً : ما أدرك عندنا من أدرك بكثرة الصلاة والصيام ، وإنما أدرك عندنا بسخاء الأنفس ، وسلامة الصدور ، والنصح للأمة .

قال أبو بكر المزني : ما فاق أبو بكر أصحاب رسول الله بصوم ولا بصلاة ، ولكن بشيء كان في قلبه .

قال ابن علية : الذي كان في قلبه الحب لله عز وجل والنصيحة في خلقه .

وقال أبو الدرداء : إن شئتم لأنصحن لكم : إن أحب عباد الله إلى الله ، الذين يحبّبون الله تعالى إلى عباده ويعملون في الأرض نصحاً .

وقال حكيم : ودّك من نصحك .

قال بعض السلف : من وعظ أخاه فيما بينه وبينه فهي نصيحة ، ومن وعظه على رؤوس الناس فإنما وبَّخَه .

قال عبد العزيز بن أبي رواد رحمه الله : كان من كان قبلكم إذا رأى الرجل من أخيه شيئاً يأمره في رفق فيؤجر في أمره ونهيه ، وإن أحد هؤلاء يخرق بصاحبه فيستغضب أخاه ويهتك ستره.

٤-وهذا الحديث يفيد بعمومه ورواياته أنه يجب أن ينصح المسلم لأخيه المسلم في جميع جوانب الحياة وليس في جانب واحد بل دنيا وأخرى .

وجرير بن عبد الله قد بايع الرسول ﷺ على النصح لكل مسلم ، قد طبق ذلك :

فقد ذكر النووي في شرح مسلم : أن جريراً أمر مولاه أن يشتري له فرساً ، فاشترى له فرساً بثلاثمائة درهم وجاء به وبصاحبه لينقده الثمن ، فقال جرير لصاحب الفرس : فرسك خير من ثلاثمائة درهم ، أتبيعه بأربعمائة درهم ؟ قال : ذلك إليك يا أبا عبد الله . فقال : فرسك خير من ذلك أتبيعه بخمسمائة درهم ؟ ثم لم يزل يزيد مائة فمائة وصاحبه يرضى وجرير يقول فرسك خير إلى أن بلغ ثمانمائة درهم فاشتراه بها . فقيل له بذلك فقال : إني بايعت رسول الله ﷺ على النصح لكل مسلم .

هكذا يفعل صحابة الرسول ﷺ في النصح للمسلمين في أمور دينهم ودنياهم ولنا فيهم أسوة (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيد) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : فإن المؤمن للمؤمن كاليدين تغسل إحداهما الأخرى .

٥-ومن أعظم النصح أن ينصح لمن استشاره في أمره .

كما قال ﷺ : (إذا استنصح أحدكم أخاه فلينصحه) .

وكذلك النصح في الدين .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ قالت له فاطمة بنت قيس : قد خطبني أبو جهم ومعاوية ، فقال لها : أما أبو جهم فرجل ضراب للنساء ، وأما معاوية فصعلوك لا مال له ، فبين النبي ﷺ حال الخاطبين للمرأة ، فإن النصح في الدين أعظم من النصح في الدنيا ، فإذا كان النبي ﷺ نصح المرأة في دنياها فالنصيحة في الدين أعظم .

٦- آداب النصيحة :

أولاً : الإخلاص لله عز وجل .

فلابد أن يقصد بنصحه وجه الله تبارك وتعالى كما في حديث عمر (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى) .

ثانياً : ألا يقصد التشهير .

ثالثاً : أن يكون النصح سراً .

قال الشافعي : من وعظ أخاه سراً فقد نصحه وزانه ، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه .

يقول الحافظ ابن رجب رحمه الله : وكان السلف إذا أرادوا نصيحة أحد وعظوه سراً .

قال بعضهم : من وعظ أخاه فيما بينه وبينه فهي نصيحة ومن وعظه على رؤوس الناس فإنما وبخه .

قال الشاعر :

تغمدني بنصحك في انفرادي وجنّبني النصيحةَ في الجماعة

فإن النصحَ بين الناسِ نوعٌ من التوبيخِ لا أرضى استماعه

رابعاً : أن يكون النصح بلطف وأدب ورفق ولا يثقل على الناصح ولا يكثر عليه .

كما جاء في الحديث عن عائشة أن النبي ﷺ قال (إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه) .

خامساً : اختيار الوقت المناسب للنصيحة .

٧- تحريم الغش والخديعة .

٨- بيان مكانة النصح في الإسلام ، حيث اعتنى به الشارع فكان يبايع عليه .

٩- أهمية الصلاة ومكانتها في الإسلام .

١٠- أهمية الزكاة وأنها تأتي بعد الصلاة في الأهمية .

١٨٣-الثالث : عن أنس ﷺ ، عن النَّبيّ ﷺ ، قَالَ : ((لا يُؤمِنُ أحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ .

(**لا يؤمن أحدكم**) أي الإيمان الكامل .

(**ما يحب لنفسه**) من الخير، كما ثبت في رواية النسائي، والخير : كلمة جامعة تعم الطاعات، والمباحات الدنيوية والأخروية.

١- الحديث دليل على أن من علامات الإيمان الكامل أن يحب الإنسان لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير .

وقد جاء في الحديث عن يزيد بن أسد: قال: قال لي رسول الله ﷺ : (أتحب الجنة ؟ قلت: نعم ، قال: فأحب لأخيك ما تحب لنفسك) رواه أحمد .

أمثلة :

- عن أبي ذر . قال: قال لي رسول الله ﷺ : (يا أبا ذر إني أراك ضعيفاً وإني أحب لك ما أحب لنفسي، لا تأمرن على اثنين، ولا تولين على اثنين) رواه مسلم .
- **قال ابن رجب** : وإنما نهاه عن ذلك لما رأى من ضعفه وهو ﷺ يحب هذا لكل ضعيف .
- **قال الشافعي** : وددت أن الناس تعلموا هذا العلم ولم ينسب إليّ منه شيء .

فقوله [وددت] دليل على محبته الخير للناس .

- **قال ابن عباس** : إني لأمر على الآية من كتاب الله فأود أن الناس كلهم يعلمون منها ما أعلم .
- وحكي أن بعضهم شكا كثرة الفأر في بيته ، فقيل له : اقتني هرة ، فقال : أخشى أن يسمع الفأر صوت الهرة فيهرب إلى دور الجيران فأكون قد أحببتُ لهم ما لا أحبه لنفسي .
- وفي كلام بعضهم : ارضَ للناس ما لنفسك ترضى .
- قيل للأحنف وكان أحلم الناس ، ممن تعلمت الحلم ؟ قال : من نفسي ، قيل له : وكيف ذلك ؟ قال : كنت إذا كرهت شيئاً من غيري لم أفعل بأحد مثله .

٢- أن من كره لأخيه الخير فليس بمؤمن الإيمان الكامل .

٣- المؤمن مع المؤمن كالنفس الواحدة ، فيحب لها ما يحب لنفسه من حيث أنها نفس واحدة ، كقوله ﷺ : (المسلمون كالجسد الواحد) .

٤- الحث على التواضع ومحاسن الأخلاق ، حيث بحبه لأخيه الخير كما يحب لنفسه دليل على تواضعه ، وأنه لا يحب أن يكون أفضل من غيره.

٥- الحث على ترك البغضاء والغل .

٦- الترغيب في محبة المسلمين بعضهم بعضاً وائتلافهم ، لأن ذلك يؤدي إلى التعاضد والتناصر .

٧- الحرص على الأعمال التي تؤدي إلى زيادة الإيمان كحب الخير للمسلمين .

٨- التحذير من الأعمال التي تؤدي إلى نقصان الإيمان كعدم محبة الخير للمسلمين .

٩- ذم الأنانية والحسد والكراهية .

١٠- العمل بمضمون الحديث يؤدي إلى نشر المحبة بين أفراد المجتمع الإسلامي ، ويؤدي أيضاً إلى تماسكه .